الاسم واللقب: إدري صفية

الرتبة: أستاذ محاضر أ

البريد الإلكتروني:

idrisafia@yahoo.fr

المحاضرة رقم 06: تصنيف المناهج

1-مفهوم المنهج الكيفي في العلوم السياسية:Qualitative Research Méthodology

يعتبر المنهج الكيفي أحد أنواع البحوث التي يتم اللجوء إليها في سبيل الحصول على فهم متعمق ووصف شمولي للظاهرة الإنسانية ويمكن تحديد مفهوم البحث الكيفي بأنه البحث عن الطبيعة الجوهرية للظواهر كما هي في الواقع ومن هنا فالبحث الكيفي يستند على البعد الذاتي للخبرة الإنسانية التي هي دائمة التغيير وفقا لمعطيات الزمان والمكان فالباحث من خلال هذا المنهج لا يستطيع تجسيد ذاته فهو جزء من هذه الظاهرة المدروسة يؤثر ويتأثر بها.

- وفي هذا الصدد يشير "ماكس فيير" أحد علماء الاجتماع إلى أن فهم سلوك الأفراد و الجماعات يتطلب من الباحث فهم رؤية المبحوثين و قيمهم و اتجاهاتهم التي يثبتونها و هو ما سماه بالفهم التعاطفي و هذا الفهم كما يشير يتضمن جوانب متعددة لفهم الظاهرة الإنسانية قد لا يمكننا البحث الكمي من خلال الأرقام، و الإحصائيات من فهمها و الوقوف على طبيعتها و الإلمام بكافة أبعادها، بينما في المقابل يمكننا البحث الكيفي من الاندماج مع الظاهرة الإنسانية و التعايش معها وصولا إلى الفهم المتعمق لها.

❖ وإذا كان المنهج الكيفي يسعى إلى التنبؤ واختيار الفروض و تطبيق النظرية على الواقع فإن المنهج الكيفي لا يقتصر دوره على مجرد وصف الظاهرة بل يتعدى ذلك إلى بناء النظريات العلمية من خلال المشاهدات و الخبرات التي يعيشها الباحث في دراسته. [1]

2- تطور المنهج الكيفي في العلوم السياسية:

ترجع الأصول التاريخية لنشأة المنهج الكيفي إلى إسهامات علماء "الأنثروبولوجيا" « **Anthropology** » و "الأتنوجرافيا" « **Ethnography** » و "الأنتولوجيا البشرية" « **Human Enéthologie** » و التي على الرغم من اختلاف بؤر اهتمام كل منها إلا أنها في مجملها تعني بملاحظة الباحث للظاهرة و تسجيله لها عبر فترة زمنية طويلة فالعلم الأنثروبولوجي يدرس الإنسان بوصفه كينونة قابلة للمعرفة و الإدراك و هذا معناه أن الكائن البشري يمكن تحديده بيولوجيا و اجتماعيا و ثقافيا و حضريا و سياسيا و من هنا فالأنثروبولوجيا "تدرس و تحلل، و تفسر جوانب كينونة الإنسان على أساس نزعات و مذاهب منهجية مثل القول بالأنثروبولوجيا الاجتماعية التي يختص بالبناء الاجتماعي و الأنثروبولوجيا السياسية التي جعلت من نشاط الإنسان السياسي حقلا لها تتناوله بالدرس و التحليل بحثا عن النسق السياسي في المجتمعات.

وعلم الأنتوجرافيا: هو العلم الذي يولي اهتمامه بالحضارة على مختلف أبعادها و أنشطتها من تقنيات سائدة و موروثات و عادات متأصلة أي كل ما يتصل بما هو سائد داخل أي كيان أو حقل يتعين للباحث دراسته و تسعى الأنثوجرافيا إلى تشريح الحياة اليومية للمجتمع المحلي. فتتبين معانيها، و أنماطها و كل ما يتعلق بها، مستخدمة وسائل بحثية متنوعة خلال فترة زمنية مناسبة يندمج خلالها الباحث في الحياة اليومية للجماعة المدروسة ويشير « **Havilland** » 1994 إلى أن الأنثوجرافيا في الوصف المنظم للثقافة الإنسانية المشتقة من الملاحظة الأولية أي هو الاتجاه الذي يهتم بالوصف للثقافات الإنسانية و قد اختلف الأنثوجرافيين في كيفية دراسة الثقافة الإنسانية فمنهم من تناولها من الجانب المادي الوضعي « **Singer**

« **urhite** 1959 – 1989 و منهم من ركز على الجانب الأيديولوجي للثقافة كالبنيوسين –**Levi** » « **Strauss** 1963 .

☜ ويشير الكندري 2006 إلى ضرورة التمييز بين البحث الوصفي و البحث الإنثوجرافي فالأول يعتمد على دراسة الظواهر الاجتماعية كما هي بالواقع من خلال تقديم وصف دقيق و معبر عنه كميا، و كيفيا، أما الآخر فإنه ارتبط في واقعه بأداة بحثية تمثلت في أداة الملاحظة بالمشاركة.

☜ و يضيف أبو علام "1999" أن هذه الأداة البحثية امتدت تطبيقاتها إلى كثير من مجالات العلوم التربوية و الاجتماعية و الإنسانية نتيجة لعدم الارتياح للطبقة التقليدية في بحث الظواهر الإنسانية و ذلك لما يترتب على استخدامها من فهم أعمق و تحليل أشمل لتلك الظواهر.[1]

☜ و الأنثولوجيا البشرية تهتم بالجانب العضوي للسلوك الإنساني من خلال تسجيل الأنماط المتعاقبة للسلوك الثابت سعيا للوصول إلى قاعدة عامة حول السلوك و التفاعل الإنساني و لقد تطور هذا العلم عن طريق « **Tinbergen** 1959 (**Lorenz** 1966) » عالمي الأنثولوجيا الحيوانية و اهتم علم النفس البيئي بدراسة السلوك الإنساني و الاستفادة من نظرية التطور الارتقائي (لداروين) في دراسة طبيعة الأنماط السلوكية و تطورها بينما يركز الأثولوجين على دراسة السلوك ذاته يهتم علماء النفس البيئي بالسلوك و الوسط البيئي من حوله الذي يتم فيه.

و في محاولة رواد المنهج الكيفي للخروج من دائرة الافتراضات المسبقة، و التساؤلات البحثية المرتبطة بها و التي تعتبر من أساسيات المنهج الكمي، برز منهج "النظرية المجذرة" التي تمتد جذورها الفلسفية من "المنهج الفنومنولوجي" و تسعى لبناء نظرية صادقة تتم صياغتها بأسلوب استقرائي من تلك القوام المقصودة

بالدراسة و قد قام كل من **Vlasser** و **Strauss** في عام 1967 بتطوير هذه النظرية ففتحت آفاقا جديدة للبحث العلمي في كافة فروع المعرفة العلمية و جوهر هذه النظرية يعتمد على الجمع، و التحليل المنظم للبيانات لدراسة ظاهرة ما ثم صياغة نظرية من خلال ذلك مما يعني وجود علاقة تبادلية بين عملية جمع و تحليل البيانات و عملية بناء النظرية.

و في هذا الاتجاه تشير « **Padgett** 1998 » إلى أهمية إسهامات كل من **Vlasser** و **Strauss** خلال السبعينات و الثمانينات من القرن الماضي في تطوير المنهج الكيفي من خلال تطويرهم للنظرية المجذرة بالإضافة إلى إسهامات كل من **Lincoln** و **Vuba** خلال فترة الثمانينات و التسعينات في تأصيل المنهج الكيفي كما نشير إلى نشأة المنظر البنائي **(Constructionist perspective)** الذي يتناول الظاهرة الإنسانية من خلال الواقع المتعدد الجوانب المرتبط بها من خلال أعمال **(Denzin 1978)** في علم الاجتماع و **Lincoln** و **Vuba** 1985 في التربية.

مما تقدم يتضح أن أساليب البحث الكيفي ترى أن السلوك الإنساني مرتبط بمضمون خاص تاريخي و اجتماعي و زماني وثقافي، و لذلك فإن التفسير المرتبط بالاستدلال كما في البحوث الكمية، لا يقدم فهما متعمقا و تحليلا واقعيا لذلك السلوك فالبحث الكيفي يسعى إلى تفسير الظواهر الإنسانية من خلال استقراء الواقع بجوانبه المتعددة الحيطة بذبك وصولا لتصوير النمط المعقد لما يدرس بعمق و تفصيل من خلال بناء النماذج من خلال تحليل و تركيب الأجزاء المكونة لها، و تفسير المعنى الاجتماعي للأحداث و تحليل العلاقات بين الأحداث و العوامل الخارجية (الكندري 2006).[1]

2- تصنيف أدوات جمع البيانات

إن كلمة الأداة تعني الوسيلة التي تستخدم لجمع بيانات البحث، ويرتبط مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية بماذا؟ فإذا تساءلنا بماذا يجمع الباحث بياناته؟ فإن الإجابة على ذلك التساؤل تستلزم تحديد نوع الأداة المناسبة للبحث.

ويجب على الباحث في المراحل الأولى من البحث أن يقوم بعملية تقييم للأدوات المختلفة لجمع البيانات ، وبعد أن يحدد الأداة التي تمكنه من جمع البيانات اللازمة لاختبار صحة فروضه، إن اختيار الباحث لأدوات جمع البيانات يتوقف على العديد من العوامل:

-طبيعة المشكلة/ موضوع الدراسة

-الفروض التي تتحكم في عملية اختيار الأدوات

-يجب على الباحث أن يكون على دراية كاملة بمتطلبات تطبيق الأداة

-تكلفة الأداة

-نوع المبحوثين/العينة الذين تلائمهم الأداة.

-طبيعة البيانات التي تؤدي إليها من حيث مميزاتها و حدودها ، و مدى صدقها و موضوعيتها.

و قد يعتمد الباحث على أداة واحدة أو أكثر لجمع البيانات لكي يدرس الظاهرة المختارة من جميع نواحيها والتعرف على طبيعتها بدقة. ومن أهم الأدوات في جمع البيانات ما يلي:

-الملاحظةObservation

-الاستمارة (الاستبيان)Questionnaire

-المقابلة Interview

1- الملاحظـــــــة:

الملاحظة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات وقد أستخدمها الإنسان في الماضي كما تستخدم في الحاضر لجمع المعلومات عن ظواهر الحياة ومشكلاتها ، و الملاحظة من أفضل الأساليب للإجابة عن مشكلة البحث ، وهي تتميز عن غيرها من أدوات جمع البيانات في أنها تساعد على جمع بيانات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الطبيعية بحيث يمكن ملاحظتها دون عناء كبير.

أنواع الملاحظة :هناك نوعان من الملاحظة: الملاحظة البسيطة والملاحظة المنظمة.

أ- الملاحظة البسيطة: هذا النوع من الملاحظة الذي يتم من طرف الشخص العادي، حيث يقوم الباحث بملاحظة الظاهرة دون إخضاعها للضبط العلمي أو استخدام أدوات دقيقة ، و تستخدم أسلوب الملاحظة البسيطة في مجالات البحوث النفسية و التربوية و الاجتماعية و غيرها من المجالات الأخرى.

و يمكن أن تتم الملاحظة البسيطة بطريقتين هما-:

.1**الملاحظة غير المشاركة** : و هي تتم دون مشاركة الباحث بشكل مباشر في الموقف الذي يلاحظ ،و

هذا الأسلوب يهيئ الفرصة لملاحظة السلوك الفعلي للمبحوثين في صورته الطبيعية كما يحدث في مواقف الحياة الحقيقية.

.2**الملاحظة المشاركة :** وهي التي يصبح فيها الباحث جزءا مشاركا في الموقف الملاحظ ، فهو يشترك في أوجه نشاط المبحوثين أثناء فترة الملاحظة ، و يتطلب ذلك أن يصبح الباحث عضوا في الجماعة التي يقوم بدراستها وأن يتجاوب معها و يمر بنفس ظروفها و يتعرض لجميع المؤثرات التي تخضع لها.

ب- **الملاحظة المنظمة:**

و هذا النوع من الملاحظة ينحصر في موضوعات محددة من قبل ، و يشيع إستخدامها في الدراسات الوصفية ، كما أنها تخضع للضبط العلمي بالنسبة للقائم بالملاحظة أو المبحوثين أو الموقف الذي تتم فيه الملاحظة ، و يمكن أن تتم بالمشاركة أو بدون مشاركة من جانب الباحث .

2- الاستمارة :

ويطلق على الاستمارة مسميات أخرى , فنجد أن البعض قد يستخدم مصطلح "الاستبيان" وهذه التسميات جميعا تشير إلى وسيلة واحدة لجمع البيانات تعتمد على مجموعة من الأسئلة ترسل أما عن طريق البريد للمبحوثين , أو تسلم باليد إليهم ليقوموا بالإجابة عليها بأنفسهم دون مساعدة الباحث. ويطلق على الاستبيان الذي يرسله الباحث بالبريد اسم "الاستبيان البريدي" , وهو يستخدم في حالة ما إذا كان المبحوثين في مناطق واسعة متناثرة ،أما الاستبيان غير البريدي فيستخدم في الحالات التي يمكن فيها جمع المبحوثين في مكان واحد.

أنواع الاستبيان:

إن طبيعة مشكلة البحث وكذلك المبحوثين يحددان الصورة التي يجب أن تكون عليها أسئلة الاستبيان لكي تمدنا بالبيانات اللازمة للبحث , ويمكن للباحث أن يضع الأسئلة في الصور الآتية:

-أ **الاستبيان المغلق:**وفيه يقوم الباحث باختيار إجابة من إجابتين أو عدة إجابات , أو ترتيب مجموعة من العبارات وفقا لأهميتها.

و تيسر الاستبيانات المقيدة عملية تحليل البيانات ، و لكن يؤخذ عليها عدم القدرة على التحقق من دوافع المبحوثين ، كما أن الاجابات المحددة قد تؤدي بالمبحوثين إلى اتخاذ موقفا من موضوع ما لم يكن قد تبلور رأيهم فيه بعد ، ولكي يتجنب الباحث نقاط الضعف هذه يجب أن يضيف اجابة ثالثة حتى يستطيع المبحوث أن يعبر عن رأيه بصدق مثل : نعم – إلى حد ما – لا.

ب–الاستبيان المفتوح: وفيه يقوم المبحوثين بالإجابة بحرية كاملة عن الأسئلة . مما يساهم في الكشف عن دوافعهم و اتجاهاتهم ، ويؤخذ على هذا النوع أنه في بعض الأحيان قد يحذف المبحوث بدون قصد معلومات هامة، أو يفشل في تدوين تفاصيل كافية نتيجة لعدم توجيه تفكيره ، كما أن الإجابات التي تأتي عن طريقه تكون متنوعة تنوعا واسعا مما يشكل صعوبة كبيرة في عملية تصنيفها و تبويبها.

ج– الاستبيان المقيد المفتوح: / النصف المفتوح: وهذا النوع يحتوي على أسئلة تصطحبها اجابات متعددة يختار المبحوث إحداها ، ثم يكتب بحرية عن الأسباب المرتبطة بذلك.

خطوات تصميم الاستبيان:

تتطلب عملية جمع البيانات عن طريق الاستبيان إعداد خطة مفصلة للتقيد بها عند جمع البيانات ، بحيث قد لا يؤدي مجرد وضع الأسئلة الحصول على بيانات دقيقة موثوق بها فهي بذلك ليست عملية سهلة لأنه في بعض الأحيان قد يفهم المبحوثين معاني كثيرة و متنوعة للأسئلة ، لذلك يجب أن يهتم الباحث بإعداد أسئلة الاستبيان حتى يحصل على البيانات المطلوبة لبحثه. وهناك عدة خطوات يجب إتباعها عند إعداد الاستمارة وهي:

– **تحديد نوع المعلومات المطلوبة للبحث** : يجب على الباحث أن يقوم بتصميم استمارة في ضوء الهدف من البحث، وعليه أن يضع خطة دقيقة بحيث تحتوي على جميع المجالات الرئيسية و الفرعية التي يشتمل عليها البحث ، و يضع الأسئلة الخاصة بكل مجال من هذه المجالات.

– **تحديد شكل الأسئلة** : يجب أن يراعي الباحث عند وضع الاستمارة أن يتناسب عدد الأسئلة في كل مجال مع الأهمية النسبية له ، و ليس من الضروري أن يكون عدد الأسئلة متساوي في جميع المحاور .

– **تحديد صياغة الأسئلة:** وهنا يجب على الباحث أن يتوخى الدقة عند صياغة أسئلة الاستمارة , وعادة ما يجب مراعاة بعض الشروط يجب مراعاتها عند صياغتها:

- يجب صياغة الأسئلة بأسلوب سهل بسيط , ويتناسب مع المستوى الثقافي للمبحوثين وفي حالة وجود اختلاف بين المستوى الثقافي للمبحوثين يجب اختيار اللغة التي يفهمها أقل المبحوثين ثقافة
- يجب صياغة الأسئلة بطريقة لا توحي للباحث بإجابة معينة.
- يجب ألا تتضمن الأسئلة وقائع شخصية أو محرجة.
- يجب ألا تكون صيغة السؤال قابلة للتأويل حتى يفهم المبحوث المعنى الذي يقصده الباحث

– **تحديد ترتيب الأسئلة :** يجب على الباحث أن يراعي ترتيب أسئلة الاستمارة ، بحيث يبدأ بالأسئلة البسيطة ثم الأسئلة الصعبة ، أي تتدرج الأسئلة بطريقة تساعد على إثارة اهتمام المبحوثين وتشجعهم على الإجابة عليها , كذلك يجب أن تتابع الأسئلة في تسلسل منطقي يتيح للمبحوثين أن ينظموا أفكارهم , وإذا كانت الاستمارة تشتمل على عدة محاور فيجب أن توضع لها عناوين فرعية .

– **اختبار الاستمارة (الدراسة الاستطلاعية):** بعد انتهاء الباحث من أعداد الاستمارة يقوم بتطبيقها في دراسة استطلاعية على عينة من مجتمع البحث،وذلك للتعرف على مدى مناسبتها من حيث الصياغة والمضمون لتحقيق أهداف البحث ، وكذلك تحديد ما إذا كانت العبارات مناسبة للمستوى الثقافي للمبحوثين أم لا ،وأيضا تحديد درجة استجابتهم للاستمارة . والزمن الذي يستغرقه المبحوث في الإجابة على الأسئلة.

– **إعداد الاستمارة في صورتها النهائية:** يجب أن يهتم الباحث بإعداد الاستمارة حتى تثير اهتمام المبحوثين وتحفزهم على الاستجابة وتدفعهم إلى التعاون مع الباحث.

مزايا الاستبيان: للاستبيان العديد من المزايا نذكر منها ما يلي:

1– يوفر كثيرا من الوقت والجهد مقارنة بغيره من الوسائل الأخرى لجمع البيانات.

–2–يستخدم إذا كان أفراد البحث منتشرين في أماكن متفرقة حيث يرسل لهم الاستبيان بالبريد الالكتروني.

3– يتيح الاستبيان البريدي الفرصة للأفراد للإجابة على الاستبيان بحرية تامة دون التقيد بوقت معين.

4–يساهم في الحصول على بيانات حساسة، ففي أحيان كثيرة يرفض المبحوث الإدلاء برأيه بصراحة في بعض الموضوعات المهمة والحساسة ، ولكنه يستطيع ذلك عن طريق الاستبيان دون خوف لأنه في كثير من الأحيان لا يكتب المبحوث أسمه على الاستمارة.

عيوب الاستبيان :

- لا يصلح إلا مع المبحوثين الذين يجيدون القراءة والكتابة.
- في بعض الأحيان تكون الأسئلة صعبة وتتطلب قدرا كبيرا من الشرح , فإذا أرسل الاستبيان بالبريد فلن يتمكن المبحوث من فهمها علي نحو صحيح.
- قد يكون عدد أسئلة الاستبيان كبير جدا مما يؤدي إلى ملل المبحوثين , وعدم تجاوبهم مع الاستمارة .

-إن العائد من الاستمارات المرسلة قد يكون قليلا ،وفي ضوء ذلك لا يستطيع الباحث أن يفسر النتائج تفسيرا صحيحا.

3- المقـــــــابلة:

تعتبر المقابلة أداة هامة لجمع البيانات ، و تستخدم في جميع مجالات الحياة الاجتماعية و التربوية و الرياضية و النفسية و السياسية ويمكن تعريفها على أنها عبارة عن محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين ، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو الاستعانة بها في التوجيه و التشخيص. فالمقابلة إذا عبارة عن عملية تفاعل لفظي بين القائم بالمقابلة والمبحوث من أجل استثارة دوافعه للحصول على بعض المعلومات.

خصائص المقابلة:

يمكننا أن نحدد خصائص المقابلة في النقاط التالية:

- لها غرض محدد و واضح.

-يتم فيها التبادل اللفظي بين القائم بالمقابلة و المبحوث ،وما يرتبط بهذا التبادل من تفاعل حول الاجابات وتأثير على سلوك المبحوث و تعبيراته.

لدلك فإن نجاح المقابلة يتوقف إلى حد كبير على خبرة و تدريب و مهارة القائم بها.

العوامل التي يجب توافرها عند إجراء المقابلة

-التحديد الجيد للمبحوثين.

- تهيئة الجو المناسب للمقابلة : يجب على القائم بالمقابلة أن يخصص لها الوقت المناسب مع تهيئة المكان و الظروف المناسبة ، الوقت الكافي لها.

-توجيه الأسئلة : ويحتاج ذلك خبرة القائم بالمقابلة ومراعاته التدرج من الأسئلة العامة

والتي تثير اهتمام الباحث إلى الأسئلة الأكثر تخصصا ،بطريقة نقاشية دون الإيحاء للمبحوث بإجابة معينة

- الحصول على الإجابة : يسعى القائم بالمقابلة الحصول على إجابة لجميع الأسئلة المطلوبة للبحث.

تسجيل الإجابات : من الضروري أن يقوم القائم بالمقابلة بتسجيل إجابات المبحوثين بعد الانتهاء من أقوالهم مباشرة ، نظرا لأن عدم تسجيل الإجابات وقت سماعها يؤدي إلى نسيان الكثير من المعلومات و تشويه الكثير من الحقائق ، ويمكن في ذلك الاستعانة بأجهزة تسجيل آلية و هي أكثر دقة و ثباتا.

مزايا المقابلة :

.وسيلة مناسبة للحصول على البيانات من الأفراد الذين لا جيدون القراءة و الكتابة.

.تتيح للفرد القائم بالمقابلة الفرصة للتعمق في فهم الظواهر التي يدرسها و ملاحظة سلوك الباحث.

.تكون المعلومات الواردة عن المقابلة أكثر تعبيرا عن الرأي الشخصي للمبحوث.

.يتحكم القائم بالمقابلة في ترتيب و تسلسل الأسئلة و لا يطلع عليه المبحوث قبل الإجابة عليها.

.تتميز المقابلة بالمرونة فيمكن للقائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين غموض السؤال أو المفاهيم المطروحة .

.تتيح الفرصة للقائم بالمقابلة بإقناع المبحوثين بأهمية البحث و قيمته العلمية.

.تساعد القائم بالمقابلة في الحصول على إجابات لجميع الأسئلة التي يطرحها.

عيوب المقابلة:

.تحيز القائم بالمقابلة عند تسجيله للنتائج وفقا لتفسيراته الشخصية.

.قد يتعمد المبحوث تزييف الإجابات في الإتجاه الذي يعتقد أنه يتفق مع اتجاه القائم بالمقابلة.

.كثيرا ما يرفض المبحوث الإجابة على بعض الأسئلة الحساسة أو المحرجة خوفا اثارها اللاحقة.

.يتكلف القائم بالمقابلة الكثير من الوقت والجهد والمال للحصول على البيانات المطلوبة.

---

[1] محمد المسفر القرني : منهج البحث الكيفي و الخدمة الإجتماعية ، ص 05